المقدمة

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

باسم الله نبدأ ، وبه نستعين ، وعليه نتوكل ، وله الحمد في الأولى والآخرة ، وعلى نبيه الصلاة والسلام ، العربي الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وعلمه ما لم يكن يعلم ، وكان فضله عليه كبيراً ، ومنَّ علينا بنزول القرآن عربيا مبينا ، نتعبد بتلاوته ، ونسمو بدراسته ، ونعلو بمعايشته ، تصبح به العقول زاكية ، وتضحى به المدارك متوسعة ، وتغدو به الثقافات متنوعة ، وتروح به الألسنة متفتقة ، وتتفجر به ينابيع البحوث الجادة النافعة .

ورضي الله عن الصحابة والتابعين ، الذين قادوا الدنيا بالدين ، ونشروا لسان القرآن المبين ، فكتب الله لهم العز والشرف والتمكين.

وبعد :

فإن علوم العربية عديدة ومتنوعة ، ومنها ما يتصل بالمعاجم ، وبأصل نشأتها ، ونموها وثراء ثروتها اللفظية والدلالية ، وأصواتها ، وفقهها ، من هذه العلوم الثرية ، والميادين الواسعة القراءات القرآنية ، فكانت ـ بلا شك ـ عينا ثرة ، ومصدرا غنيا للدراسات اللغوية في جميع مستوياتها ، فضلا عن دورها في تقعيد القواعد ، وإرساء الثوابت ، وإيجاد الحلول لأقضيات لغوية عديدة.

وقد حفلت المكتبة القرآنية واللغوية في آن واحد بمؤلفات في علم القراءات على أنواعها متواترة وصحيحة وشاذة ، إلى غير ذلك ، ويستمر العطاء ، ويتواصل الإمداد ـ بإذن الله ـ وقد فتحت المكتبة ذراعيها لإحدى الدرر الكامنة والجواهر النفيسة ، وهو كتاب معاني القراءات ، لرجل حسبناه معجميا ـ فقط ـ منذ أن تفتحت عيون الدارسين ، أبي منصور الأزهري ، الذي سعدت المكتبة اللغوية ـ من قبل ـ بمعجمه النفيس المشذب ، وتهذيبه المهذب : تهذيب اللغة ، وما إن وصل

obeikandl.com

حتى قوبل بحفاوة علمية ، فالدراسات حوله قامت ، والبحوث فيه تدولت ، من درس لهجي ، وتطوري ، وتعليلي ، ونقدي ، إلى غير ذلك من ميادين البحث اللغوي.

ومما لفت الأنظار وأثار الانتباه في معجم الأزهري القراءاتُ القرآنية ، فتطلعت النفس إلى جمعها ودراستها ، وما إن انشغلت بهذا الأمر ، وطغت الفكرة ، حتى حظيت بنسخة من معاني القراءات له ، فآثرت الشغل في الجديد ــ لا سيما ــ أنه يحوي جميع القراءات التي تمثل جميع مستويات اللغة من أصواتية وتركيبية وبنيوية ودلالية ، فكان لي التعرف على عقلية وفكر الأزهري اللغوي من منظور جديد شامل ألا وهو القراءات ، غير ناس للمعجم عند الحاجة إليه.

ومما دفعني دفعا وساقني سوقا إلى معاني القراءات ما ألفيته فيه من دفاع الأزهري عن بعض القراءات التي وجه إليها طعن ، وقام هو بإنصاف القراءة والدفاع عنها متسلحا في هذا الذود بأسلحة لغوية ماضية ، ثم نعجب عندما يقوم هو نفسه سالكا مسلك الطاعنين ، ولابساً رداء المتشككين ، ناقلا ومتبنيا آراء من سبقوه ، ومعضدا مذهبه بمذاهب من تقدموه ، فأردت كشف اللثام عن وجه الحقيقة ، من أجل ذلك قام البحث .

ولا أدعي السعاة في هذه الرحلة ، وهي «الأزهري والقراءات القرآنية في كتابه معاني القراءات ، عرض وتحليل ومناقشة» بل جبهت بالصعاب لأنني لم أعايش رجلا عاديا ، بل عالما عبقريا ، قارئا معجميا ، ولذلك كان التريث لي سبيلا ، ولم تكن العجلة ـ أبدا ـ طريقا ، حتى استوى ـ أو كاد ــ البحث على سوقه ، فانقلب التعب والنصب إلى ود وحب ، عشت أياما وليالي طويلة ، وساعات وأوقات كبيرة ، فيها المتعة والسرور بمصاحبة أبي منصور ، فمعايشة القدماء تضع القدم الراسخة ، وتحيي الثقافات المفيدة لتكون أسلحة يتسلح بها الطالب الحديث ــ ليستطيع ــ محاولا ـ مجالسة أبيه القديم ، فتتواصل الأفكار ، وتتلاقي العلوم قديمها وحديثها

حول هدف واحد ، ألا وهو معايشة القرآن ، معايشة فاهمة واعية عابدة ، وهي ـ أيضا ـ مدافعة منافحة عن مصدر تعبدنا ، وأساس عزنا.

لقد أثمرت الرحلة مع الأزهري هذا البحث الذي أرجو أن أكون قد وفقت في بيان وجلاء فكر الأزهري ، ووضعه في موضعه اللائق بمنزلته ومكانته.

وقام هذا البحث على عدة مباحث بعد مقدمة وتمهيد ثم خاتمة وفهارس ، بينت في المقدمة أسباب الاختيار والمنهج الذي قام عليه البحث ، وفي التمهيد عرفت بالأزهري تعريفا موجزا ، لشهرته ، وتعرفت على منهجه من كتابه ، وأما المبحث الأول: فقد جعلته لاختيار الأزهري لقراءات قرآنية وأسباب اختياره ، وأما المبحث الثاني: فقد خصصته لدفاعات الأزهري عن بعض القراءات ، وكان ضمن هذه الدفاعات القراءات الشاذة والتي دفعتني إلى أن أخصص لها مبحثاً مستقلا ، وجعلته بعنوان: شواذ الأزهري ، وهو المبحث الثالث ، ثم جاء الدور على المبحث الرابع الأصيل ، وهو نقود الأزهري للقراء ، وقسمته إلى قسمين ، الأول: نقود موجهة إلى قارئ بعينه ، وجعلته تحت عنوان: نقود فردية ، والثاني: نقود جماعية ، أي: نقود إلى مجموعة من القراء بدءا من اثنين ، ثم أودعت في الخاتمة أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة وفي كل هذه المباحث والأقسام أبديت وجهة نظري وعلقت وناقشت لنتوصل إلى الحقيقة ورأي مقنع بالدليل ومؤكد بالحجة والبرهان ، ولم تأت مناقشاتي وتعليقاتي من فراغ ، بل من بطون مصادر ومراجع استعنت بها ورجعت إليها ، أثبتها في نهاية البحث.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

د. محمد إبراهيم محمد مصطفى
مدرس أصول اللغة
بكلية اللغة العربية بالمنصورة / جامعة الأزهر

obeikandl.com